تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ۱۶-۹-۱۴۰۴ ۴۳

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(۵)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦)

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كلُ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ(٧)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَ هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ الْوَهَّابُ(٨)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٩)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

سورة آل‌عمران

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىَ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ(١٢)

سورة آل‌عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ
لَعِبرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَرِ(١٣)

سورة آل‌عمران

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَمِ وَ الْحَرْثِ ذَالِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَابِ(١٤)

سورة آل‌عمران

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُم بِخَيرْ مِّن ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تحَتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(١٥)

سورة آل‌عمران

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٦)

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُنفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)

سورة آل‌عمران

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَئكَةُ وَ أُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائمَا بِالْقِسْطِ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١٨)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْاِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَ مَن يَكْفُرْ بِايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ(١٩)

سورة آل‌عمران

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ
مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ
وَ الْأُمِّيِّنَ ءَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ
اهْتَدَواْ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(٢٠)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِايَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيرِ حَقٍ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١)

سورة آل‌عمران

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الاَخِرَةِ وَ مَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٢٢)

أولئک الذين حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة

- حبوط العمل- عندنا- هو إيقاعه على خلاف الوجه المأمور به، فإذا أوقعه كذلک لم يستحق عليه الثواب، فجاز لذلک أن يقال: أحبط عمله، و متى أوقعه على الوجه المنهى عنه، استحق مع ذلک العقاب،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذین حبطت اعمالهم فی الدنیا و الاَخرَة

- و لیس المرادَ بَذلک بطلان ما یستحق علیه من الحمد و الثناء. و لا بطلان الثواب بما یستحق من العقاب، لأن الثواب إذا ثبت فلا یزول علی وجه بما یستحق صاحبه من العقاب، لأنه لا تنافی بین المستحقین، و لا تضاد. و أما حبوطها فی الدنیا، فلأنهم لم ینالوا بها مدحاً و لا ثناء.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذين حبطت اعمالهم فی الدنيا و الآخرة

- و أصل الحبَوَط مأخوذ من قولهم: حبطت بطون الماشية: إذا فسدت من مآكل الربيع.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذین حبطت اعمالهم فی الدنیا و الاَخرَة

- فعلی ما حررَناهَ إنما تبطل الطاعة حتی تصیر بمنزلة ما لم تفعل إذا وقعت علی خلاف الوجه المأمور به و عند المعتزلة، و من خالفنا فی ذلک أن أحدهما یبطل صاحبه إذا کان ما یستحق علیه من الثواب أو العقاب أکثر مما یستحق علی الآخر فانه یبطل الأقل علی خلاف بینهم فی أنه یتحبط علی طریق الموازنة أو غیر الموازنة،

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذین حبطت اعمالهم فی الدنیا و الاخرة

- قال الرمانی: وَ الفرق بین حبوط الفریضة و حبوط النافلة أن النافلة من الفاسق لا بد علیها من منفعة عاجلة، لأن اللَّه رغب فیها إن أقام علی فسقه أو لم یقم.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذین حبطت اعمالهم فی الدنیا و الاخرة

- و الترغیب منَ الحکیم لا یکون إلا لمنفعة، فأما الفریضة من الفاسق، فلانتقاض المضرة التی کان یستحقها علی ترک المضرة، و هذا- علی مذهبنا- لا یصح علی ما فصلناه، و لا علی مذهب شیوخه، لأن المستحق علی النوافل لا یکون إلا ثواباً و الثواب لا یصح فعله فی دار التکلیف، فکیف یصح ما قاله.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

اولئک الذين حبطت اعمالهم فی الدنيا و الاخرة

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فيهِ قُلْ قِتالٌ فيهِ كَبيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ

فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ

- و قوله: «فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» معناه: أنها صارت بمنزلة ما لم يكن، لاَيقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به،
- و ليس المراد أنهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت، لأن الإحباط- عندنا- باطل على هذا الوجه.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۸

فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ

- و يقال: حبط عمل الرجل يحبط حبطاً و حبوطاً، و أحبطه اللّه إحباطاً، و الحبط: فساد، يلحق الماشية فى بطونها، لأكل الحباط، و هو ضرب من الكلاء. يقال: حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلک.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۸

اولئک الذين حبطت اعمالهم فی الدنيا و الاخرة

كَالَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ

كلام فى الحبط

- (كلام فى الحبط)
- و الحبط هو بطلان العمل و سقوط تأثيره، و لم ينسب فى القرآن إلا إلى العمل كقوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ:» الزمر- ۶۵، و قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ:» محمد- ۳۳،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۸

كلام فى الحبط

- و ذيل الآية يدل بالمقابلة على أن الحبط بمعنى بطلان العمل كما هو ظاهر قوله تعالى: «وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ:» هود- ١۶، وَ يقرب منه قوله تعالى: «وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً:» الفرقان- ٢٣.
- و بالجملة الحبط هو بطلان العمل و سقوطه عن التأثير،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١۶٨

کلام فی الحبط

- و قد قیل: إن أصله من الحبط بالتحریک و هو أن یکثر الحیوان من الأکل فینتفخ بطنه و ربما أدی إلی هلاکه.
- و الذی ذکره تعالی من أثر الحبط بطلان الأعمال فی الدنیا و الآخرة معا، فللحبط تعلق بالأعمال من حیث أثرها فی الحیاة الآخرة، فإن الإیمان یطیب الحیاة الدنیا کما یطیب الحیاة الآخرة، قال تعالی: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیاةً طَیِّبَةً وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما کانُوا یَعْمَلُونَ:» النحل- ۹۷،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۶۸

كلام فى الحبط

- و خسران سعى الكافر، و خاصة من ارتد إلى الكفر بعد الإيمان، و حبط عمله فى الدنيا ظاهر لا غبار عليه، فإن قلبه غير متعلق بأمر ثابت، و هو الله سبحانه، يبتهج به عند النعمة، و يتسلى به عند المصيبة، و يرجع إليه عند الحاجة، قال تعالى: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها» الأنعام- ١٢٢، تبين الآية أن للمؤمن فى الدنيا حياة و نورا فى أفعاله، و ليس للكافر،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٨

کلام فی الحبط

- و مثله قوله تعالی، «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْری فَإِنَّ لَهُ مَعیشَةً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَعْمی:» طه- ۱۲۳، حیث یبین أن معیشة الکافر و حیاته فی الدنیا ضنک ضیقة متعبة، و بالمقابلة معیشة المؤمن و حیاته سعیدة رحبة وسیعة.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۶۸

کلام فی الحبط

- و قد جمع الجمیع و دل علی سبب هذه السعادة و الشقاوة قوله تعالی: «ذلکَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْکافِرِینَ لا مَوْلی لَهُمْ:» محمد- ۱۱.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۶۸

كلام فى الحبط

- فظهر مما قرناه أن المراد بالأعمال مطلق الأفعال التى يريد الإنسان بها سعادة الحياة، لا خصوص الأعمال العبادية، و الأفعال القربية التي كان المرتد عملها و أتى بها حال الإيمان، مضافا إلى أن الحبط وارد فى مورد الذين لا عمل عبادى، و لا فعل قربى لهم كالكفار و المنافقين

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٨

كلام فى الحبط

- كقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ:» محمد- ٩، و قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ:» آل عمران- ٢٢، إلى غير ذلك من الآيات.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- فمحصل الآيـة كسـائر آيـات الحـبط هـو أن الكفـر و الارتداد يوجب بطلان العمل عن أن يـؤثر فـى سـعادة الحياة، كما أن الإيمان يوجب حياة فى الأعمال تؤثر بها أثرها فى السعادة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- فإن آمن الإنسان بعد الكفر حييت أعماله فى تأثير السعادة بعد كونها محبطة باطلة، و إن ارتد بعد الإيمان ماتت أعماله جميعا و حبطت، فلا تأثير لها فى سعادة دنيوية و لا أخروية، لكن يرجى له ذلک أن هو لم يمت على الردة و إن مات على الردة حتم له الحبط و كتب عليه الشقاء.
- و من هنا يظهر بطلان النزاع فى بقاء أعمال المرتد إلى حين الموت و الحبط عنده أو عدمه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- توضيح ذلک: أنه ذهب بعضهم إلى أن أعمال المرتد السابقة على ردته باقية إلى حين الموت، فإن لم يرجع إلى الإيمان بطلت بالحبط عند ذلک، و استدل عليه بقوله تعالى «وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ الآية» و ربما أيده قوله تعالى: «وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً:» الفرقان- ٢٣، فإن الآية تبين حال الكفار عند الموت،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- و يتفرع عليه أنه لو رجع إلى الإيمان تملك أعماله الصالحة السابقة على الارتداد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- و ذهب آخرون إلى أن الردة تحبط الأعمال من أصلها فلا تعود إليه و إن آمن من بعد الارتداد، نعم له ما عمله من الأعمال بعد الإيمان ثانيا إلى حين الموت، و أما الآية فإنما أخذت قيد الموت لكونها فى مقام بيان جميع أعماله و أفعاله التى عملها فى الدنيا!

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٩

كلام فى الحبط

- و أنت بالتدبر فيما ذكرناه تعرف، أن لا وجه لهذا النـزاع أصلا، و أن الآية بصدد بيـان بطـلان جميـع أعمالـه و أفعاله من حيث التأثير فى سعادته!.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۹

كلام فى الحبط

- و هنا مسألة أخرى كالمتفرعة على هذه المسألة و هى مسألة الإحباط و التكفير، و هى أن الأعمال هل تبطل بعضها بعضا أو لا تبطل بل للحسنة حكمها و للسيئة حكمها، نعم الحسنات ربما كفرت السيئات بنص القرآن.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٠

كلام فى الحبط

- ذهب بعضهم إلى التباطل و التحابط بين الأعمال و قد اختلف هؤلاء بينهم، فمن قائل بأن كل لاحق من السيئة تبطل الحسنة السابقة كالعكس، و لازمه أن لا يكون عند الإنسان من عمله إلا حسنة فقط، أو سيئة فقط و من قائل بالموازنة و هو أن ينقص من الأكثر بمقدار الأقل و يبقى الباقى سليما عن المنافى، و لازم القولين جميعا أن لا يكون عند الإنسان من أعماله إلا نوع واحد حسنة أو سيئة لو كان عنده شيء منهما.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٠

کلام فی الحبط

- و یردهما أولا قوله تعالی: «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ:» التوبة- ۱۰۲، فإن الآیة ظاهرة فی اختلاف الأعمال و بقائها علی حالها إلی أن تلحقها توبة من الله سبحانه، و هو ینافی التحابط بأی وجه تصوروه.

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۷۰

كلام فى الحبط

- و ثانيا: أنه تعالى جرى فى مسألة تأثير الأعمال على ما جرى عليه العقلاء فى الاجتماع الإنسانى من طريق المجازاة، و هو الجزاء على الحسنة على حدة و على السيئة على حدة إلا فى بعض السيئات من المعاصى التى تقطع رابطة المولوية و العبودية من أصلها فهو مورد الإحباط، و الآيات فى هذه الطريقة كثيرة غنية عن الإيراد.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٠

كلام فى الحبط

- و ذهب آخرون إلى أن نوع الأعمال محفوظـة، و لكـل عمل أثره سواء فى ذلک الحسنة و السيئة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۰

كلام فى الحبط

- نعم الحسنة ربما كفرت السيئة كما قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ:» الأَنفال- ٢٩، و قال تعالى: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْه:» الآية البقرة- ٢٠٣، و قال تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ:» النساء- ٣١، بل بعض الأعمال يبدل السيئة حسنةَ كما قال تعالى: «إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ:» الفرقان- ٧٠.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٠

كلام فى الحبط

- و هنا مسألة أخرى هى كالأصل لهاتين المسألتين، و هى البحث عن وقت استحقاق الجزاء و موطنه، فقيل: إنه وقت العمل، و قيل: حين الموت، و قيل: الآخرة، و قيل: وقت العمل بالموافاة بمعنى أنه لو لم يدم على ما هو عليه حال العمل إلى حين الموت و موافاته لم يستحق ذلک إلا أن يعلم الله ما يئول إليه حاله و يستقر عليه، فيكتب ما يستحقه حال العمل.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۰

كلام فى الحبط

- و قد استدل أصحاب كل قول بما يناسبه من الآيات، فإن فيها ما يناسب كلا من هذه الأوقات بحسب الانطباق، و ربما استدل ببعض وجوه عقلية ملفقة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۱

كلام فى الحبط

- و الذى ينبغى أن يقال: إنا لو سلكنا فى باب الثواب و العقاب و الحبط و التكفير و ما يجرى مجراها مسلك نتائج الأعمال على ما بيناه فى تفسير قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها:» الآية بقرة ٢٦، كان لازم ذلك كون النفس الإنسانية ما دامت متعلقة بالبدن جوهرا متحولا قابلا للتحول فى ذاته و فى آثار ذاته من الصور التى تصدر عنها و تقوم بها نتائج و آثار سعيدة أو شقية،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧١

كلام فى الحبط

- فإذا صدر منه حسنة حصل فى ذاته صورة معنوية مقتضية لاتصافه بالثواب، و إذا صدر منه معصية فصوره معنوية تقوم بها صورة العقاب، غير أن الذات لما كانت فى معرض التحول و التغير بحسب ما يطرؤها من الحسنات و السيئات كان من الممكن أن تبطل الصورة الموجودة الحاضرة بتبدلها إلى غيرها،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧١

كلام فى الحبط

- و هذا شأنها حتى يعرضها الموت فتفارق البدن و تقف الحركة و يبطل التحول و استعداده، فعند ذلک يثبت لها الصور و آثارها ثبوتا لا يقبل التحول و التغير إلا بالمغفرة أو الشفاعة على النحو الذى بيناه سابقا.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۱

كلام فى الحبط

- و كذا لو سلكنا فى الثواب و العقاب مسلک المجازاة على ما بيناه فيما مر كان حال الإنسان من حيث اكتساب الحسنة و المعصية بالنسبة إلى التكاليف الإلهية و ترتب الثواب و العقاب عليها حاله من حيث الإطاعة و المعصية فى التكاليف الاجتماعية و ترتب المدح و الذم عليها،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۱

کلام فی الحبط

- و العقلاء یأخذون فی مدح المطیع و المحسن و ذم العاصی و المسیء بمجرد صدور الفعل عن فاعله، غیر أنهم یرون ما یجازونه به من المدح و الذم قابلا للتغیر و التحول لکونهم یرون الفاعل ممکن التغیر و الزوال عما هو علیه من الانقیاد و التمرد، فلحوق المدح و الذم علی فاعل الفعل فعلی عندهم بتحقق الفعل غیر أنه موقوف البقاء علی عدم تحقق ما ینافیه،

المیزان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۷۱

كلام فى الحبط

- و أما ثبوت المدح و الذم و لزومهما بحيث لا يبطلان قط فإنما يكون إذا ثبت حاله بحيث لا يتغير قط بموت أو بطلان استعداد فى الحياة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧١

كلام فى الحبط

-
- و من هنا يعلم: أن فى جميع الأقوال السابقة فى المسائل المذكورة انحرافا عن الحق لبنائهم البحث على غير ما ينبغى أن يبنى عليه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٢

كلام فى الحبط

- و أن الحق أولا: أن الإنسان يلحقه الثواب و العقاب من حيث الاستحقاق بمجرد صدور الفعل الموجب له لكنه قابل للتحول و التغير بعد، و إنما يثبت من غير زوال بالموت كما ذكرناه.
- و ثانيا: أن حبط الأعمال بكفر و نحوه نظير استحقاق الأجر يتحقق عند صدور المعصية و يتحتم عند الموت.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٢

كلام فى الحبط

- و ثالثا: أن الحبط كما يتعلق بالأعمال الأخروية كـذلک يتعلق بالأعمال الدنيوية.
- و رابعا: أن التحابط بين الأعمال باطل بخلاف التكفير و نحوه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٢

سورة آل‌عمران

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَ هُم مُّعْرِضُونَ(٢٣)

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ

- قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ إلى آخر الآية يومئ إلى تسجيل البَغي على أهل الكتاب حسب ما نسبه الله تعالى إليهم و أنهم يبغون باتخاذ الخلاف و إيجاد اختلاف الكلمة فى الدين فإنها إذا دعوا إلى حكم الكتاب كتاب الله بينهم لم يسلموا له و تولوا و أعرضوا عنه و ليس ذلك إلا باغترارهم بقولهم لَنْ تَمَسَّنَا «إلخ» و بما افتروه على الله فى دينهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٤

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ

- و المراد بالذين أوتوا نصيبا من الكتاب أهل الكتاب و إنما لم يقل: أوتوا الكتاب، و قيل: أُوتُوا نَصيباً من الْكتاب ليدل على أن الذى فى أيديهم من الكتاَب لَيس إلاَ نصيَبا منه دون جميعه لأن تحريفهم له و تغييرهم و تصرفهم فى كتاب الله أذهب كثيرا مِن أجزائه كما يومئ إليه قوله فِي آخر الآية التالية: و غَرَّهُمْ فِى دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُون،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٤

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ

- و كيف كان فالمراد- و الله أعلم- أنهم يتولون عن حكم كتاب الله اعتزازا بما قالوا و اغترارا بما وضعوه من عند أنفسهم و استغناء به عن الكتاب.

الميزان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۲۴

سورة آل‌عمران

ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ(٢٤)

ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

- قوله تعالى: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ «إلخ» معناه واضح، و اغترَارهم بفريتهم التى افترتها أنفسهم مع أن الإنسان لا ينخدع عن نفسه مع العلم بأنها خدعة باطلة إنما هو لكون المغرورين غير المفترين، و على هذا فنسبة الافتراء الذى توسل إليها سابقوهم إلى هؤلاء المغرورين من اللاحقين لكونهم أمة واحدة يرضى بعضهم بفعال بعض.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٤

ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

- و إما لأن الاغترار بغرور النفس و الغرور بالفرية الباطلة مع العلم بكونها فرية باطلة و ذكر المغرور أنه هو الذى افترى ما يغتر به من الفرية ليس من أهل الكتاب و من اليهود خاصة ببعيد

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٢٤-١٢٥